

دوافع دراسة الأديان عند العلماء المسلمين

Motives for studying religions among Muslim scholars

Prof. Dr. Arafat Ahmed Moqbel Hassan,

Professor of Religious Science at Taiz and King Khalid University, Saudi Arabia

Abstract:

This research dealt with an important topic entitled (Motives for the Study of Religions among Muslim Scholars) and aims to introduce the motivations that had a major role in the interest of Muslim scholars in studying religions and rooting for this science. In explaining this, I relied on the descriptive analytical approach. All of this was dealt with in detail in the introduction and five. Topics, then a conclusion, recommendations, and indexes. God is the Grantor of success.

Keywords; Motives, Study of Religions, Muslim Scholars, Analytical Study

الملخص:

تناول هذا البحث موضوعاً مهماً بعنوان (دوافع دراسة الأديان عند العلماء المسلمين) ويهدف إلى التعريف بالدوافع التي كان لها الدور الكبير في اهتمام العلماء المسلمين بدراسة الأديان والتأصيل لهذا العلم، وقد اعتمدت في بيان ذلك على المنهج الوصفي التحليلي كل هذا تم تناوله مفصلاً في مقدمة وخمسة محاور، ثم خاتمة وتوصيات وفهارس، والله ولي التوفيق.

المقدمة:

لفت القرآن الكريم أنظار المسلمين إلى وجوب محاربة العقائد الباطلة وبيان زيفها؛ وفقاً لقانون المجادلة بالأحسن؛ بغية التوصل إلى الحق، بدون تعدي أو انحراف؛ لذلك ذكر القرآن الكريم أقوال الديانات الأخرى بأمانة؛ دون زيادة أو نقصان، وطلب من أصحابها بيان الدليل عليها، فقال تعالى: ﴿قُلْ فَأْتُوا بِالتَّوْرَةِ فَاتْلُوهَا إِن كُنْتُمْ صَادِقِينَ﴾ (1)، وقال: ﴿قُلْ هَاتُوا بُرْهَانَكُمْ إِن كُنْتُمْ صَادِقِينَ﴾ (2)؛ ومن هنا نشأ "علم مقارنة الأديان" والردّ على العقائد الباطلة في وقت مبكر من عهد الإسلام، وقامت طائفة من علماء الإسلام يدافعون عن عقائده ويبيّنون بطلان العقائد الأخرى عند أهل الكتاب من اليهود والنصارى.

ويهدف هذا البحث إلى الكشف عن الدوافع الرئيسية لدراسة الأديان عند العلماء المسلمين ولتحقيق الأهداف المبتغاة من الدراسة رأينا من المناسب تطبيق أدوات المنهج الوصفي.

وقد اقتضت طبيعة البحث أن يأتي بناؤه من: (مقدمة، وخمسة محاور، وخاتمة).

المحور الأول: تحفيزات القرآن الكريم:

شَغَلَ ذِكْرُ الْأَدْيَانِ مَسَاحَةً وَاسِعَةً مِنْ كِتَابِ اللَّهِ -تعالى-، وهذا أمر يلحظه كلُّ قارئٍ للقرآن الكريم ولو بصورة عابرة؛ فهذه آيةٌ واحدةٌ جُمِعَتْ فيها ستة أديان، وهي قولُ اللهِ -تبارك وتعالى-: (إِنَّ الَّذِينَ آمَنُوا وَالَّذِينَ هَادُوا وَالصَّابِئِينَ وَالنَّصَارَى وَالْمَجُوسَ وَالَّذِينَ أَشْرَكُوا إِنَّ اللَّهَ يَفْصِلُ بَيْنَهُمْ يَوْمَ الْقِيَامَةِ إِنَّ اللَّهَ عَلَىٰ كُلِّ شَيْءٍ شَهِيدٌ) (2).

فهذه الآية - كما نرى - تفتح آفاقاً للبحث في هذه الأديان الستة، من حيث نشأتها التاريخية، وما تشتمل عليه من عقائد وتشريعات، وكذلك تفتح أمام العقل باباً لإجراء مقارنة بين هذه الأديان؛ لمعرفة القواسم المشتركة، وأوجه الاختلاف (3).

ومن هذا المنطلق وجد المسلمون الأوائل منهم والمتأخرون تحفيزات في القرآن الكريم تقوم على عرض العقائد الدينية المختلفة والرد عليها، وبيان العقيدة الصحيحة في ظل هذا الزخم العقائدي الذي خرج أغلبه عن الجادة بسبب التحريفات والتأويلات الخاطئة والاضافات الشاذة، كما هو الحال بالنسبة لليهودية والنصرانية.

تحدث القرآن في كثير من الآيات حول الأديان والمذاهب الدينية المختلفة؛ ففي بعضها تعرض نواحي تاريخية، وفي بعضها مسائل عقدية، وفي بعضها تناقش قضايا منهجية، وفي بعضها تتناول القضايا الاجتماعية في الأديان بأوسع معانيها، وفي البعض الآخر تقدم تقارير محددة عن كثير من المسائل التي تعتبر في صميم ما يعرف بفلسفة الدين وعلم الاجتماع الدين وتاريخ الأديان والدين المقارن. (3)

ولقد تحدث أيضا " عن الأمم وثقافة الأقاليم " التي عاشت قبل الإسلام، مثل: قوم نوح، وقوم هود، وعاد وثمود، وقوم إبراهيم ويعقوب، وموسى وأخيه هارون وقومهم بني- إسرائيل، وقوم لوط، وعيسى ابن مريم وحوارييه من النصراني، والفرعنة (الحضارة المصرية) وغيرهم. (4)

و كان حديث القرآن عن تلك الأقاليم وأديانهم مشتملاً على عدة أمور، منها:

1. ذكر القرآن الكريم أنماط المعتقدات الفكرية والمعرفية لبعض الأمم والحضارات التي كانت قبل الإسلام، مثل:

- التفكير الوثني، الذي يقدر الأصنام، ويعبد غير الله تعالى، هو كما الحال في مملكة سبأ التي كان قومها يعبدون غير الله تعالى: ﴿وَجَدْتُمَا وَقَوْمَهَا يَسْجُدُونَ لِلشَّمْسِ مِن دُونِ اللَّهِ وَزَيَّنَ لَهُمُ الشَّيْطَانُ أَعْمَالَهُمْ فَصَدَّهُمْ عَنِ السَّبِيلِ فَهُمْ لَا يَهْتَدُونَ﴾ [النمل: ٢٤]

- التفكير الأبائي، الذي يهمل الذات ويقدر القديم، في كما قوله: ﴿وَكَذَلِكَ مَا أَرْسَلْنَا مِن قَبْلِكَ فِي قَرْيَةٍ مِّن نَّذِيرٍ إِلَّا قَالَ مُتْرَفُوهَا إِنَّا وَجَدْنَا آبَاءَنَا عَلَىٰ أُمَّةٍ وَإِنَّا عَلَىٰ آثَارِهِم مُّقْتَدُونَ﴾ [الزخرف: ٢٣] (5)

- التفكير "التمييزي والصفوي" الذي يقدر عرقاً أو جنس معين من الناس دون غيره، ويدعي أصحابه بأنهم شعب الله المختار، كما قال اليهود بأنهم: ﴿نَحْنُ أَبْنَاءُ اللَّهِ وَأَحِبَّاؤُهُ﴾ [المائدة: ١٨] ﴿وَقَالُوا لَن يَدْخُلَ الْجَنَّةَ إِلَّا مَن كَانَ هُودًا أَوْ نَصَارَى تِلْكَ أَمَانِيُّهُمْ قُلْ هَاتُوا بُرْهَانَكُمْ إِن كُنْتُمْ صَادِقِينَ﴾ [البقرة: ١١١]

- تفكير " الجحود والإلحاد " بعد معرفة الحق وتيقنه، في كما قوله: ﴿وَجَحَدُوا بِهَا وَاسْتَيْقَنَتْهَا أَنفُسُهُمْ ظُلْمًا وَعُلُوًّا فَانظُرْ كَيْفَ كَانَ عَاقِبَةُ الْمُفْسِدِينَ﴾ [النمل: ١٤] (6)

دوافع دراسة الأديان عند العلماء المسلمين

ومما لا شك فيه أن للقرآن الكريم منزلة عظيمة في نفوس المسلمين عامة ولأهل العلم على وجه الخصوص فهو المصدر الذي تعرف به تشريعات هذا الدين، وأحكامه، كما وجد فيه المسلمون ما يحفزهم ويرغبهم في دراسة علم الأديان، وأذكر منها ما يلي:

- 1- حصر القرآن للأديان السماوية والأديان الوضعية، ومنه قوله تعالى: ﴿إِنَّ الَّذِينَ آمَنُوا وَالَّذِينَ هَادُوا وَالصَّابِئِينَ وَالنَّصَارَى وَالْمَجُوسَ وَالَّذِينَ أَشْرَكُوا إِنَّ اللَّهَ يَفْصِلُ بَيْنَهُمْ يَوْمَ الْقِيَامَةِ إِنَّ اللَّهَ عَلَى كُلِّ شَيْءٍ شَهِيدٌ﴾ [الحج: ١٧] مما دفع المسلمين إلى الرغبة في بيانها وكشف زيفها ومواطن التحريف والضلال فيها.
- 2- اشتغال القرآن على آيات فيها رد على أصحاب الأفكار الضالة، مثل قوله تعالى: ﴿وَقَالَتِ الْيَهُودُ يَدُ اللَّهِ مَغْلُولَةٌ غُلَّتْ أَيْدِيهِمْ وَلُعِنُوا بِمَا قَالُوا بَلْ يَدَاهُ مَبْسُوطَتَانِ يُنفِقُ كَيْفَ يَشَاءُ وَلَيَزِيدَنَّ كَثِيرًا مِنْهُمْ مَا أَنْزَلَ إِلَيْكَ مِنَ رَبِّكَ طُغْيَانًا وَكُفْرًا وَأَلْقَيْنَا بَيْنَهُمُ الْعَدَاوَةَ وَالْبَغْضَاءَ إِلَى يَوْمِ الْقِيَامَةِ كُلَّمَا أَوْقَدُوا نَارًا لِلْحَرْبِ أَطْفَأَهَا اللَّهُ وَيَسْعَوْنَ فِي الْأَرْضِ فَسَادًا وَاللَّهُ لَا يُحِبُّ الْمُفْسِدِينَ﴾ [المائدة: ٦٤]
- 3- التقريرات القرآنية لجانب الإعجاز التاريخي الذي مرت به الأديان السابقة؛ مما زاد انتباه المسلمين إلى هذه القضايا والبحث فيها منها قوله تعالى: ﴿أَفَتَطْمَعُونَ أَنْ يُؤْمِنُوا لَكُمْ وَقَدْ كَانَ فَرِيقٌ مِنْهُمْ يَسْمَعُونَ كَلَامَ اللَّهِ ثُمَّ يُحَرِّفُونَهُ مِنْ بَعْدِ مَا عَقَلُوهُ وَهُمْ يَعْلَمُونَ﴾ [البقرة: ٧٥] وقد تبني الحديث عن تحريف الكتب السماوية الكثير من علماء المسلمين وحاولوا إثبات صحتها فمن أظهر الأمثلة على ذلك ما فعله ابن حزم في كتابه "الفصل في الملل والأهواء والنحل".
- 4- الأمر بمناقشة أهل الأديان؛ بهدف بيان الحق ورد الباطل قال تعالى: ﴿ادْعُ إِلَى سَبِيلِ رَبِّكَ بِالْحُكْمَةِ وَالْمَوْعِظَةِ الْحَسَنَةِ وَجَادِلْهُمْ بِالَّتِي هِيَ أَحْسَنُ إِنَّ رَبَّكَ هُوَ أَعْلَمُ بِمَنْ ضَلَّ عَنْ سَبِيلِهِ وَهُوَ أَعْلَمُ بِالْمُهْتَدِينَ﴾ [النحل: ١٢٥] كما بين الله عزوجل في هذه الآية قواعد للجدل والمناظرة مع المخالفين فلم يأمر فقط بتعلم أديانهم بل أمر بمجادلتهم وفق قواعد قرآنية محددة: لبيان الحق.
- 5- الحث على السير في الأرض والتأمل في عاقبة المكذابين الذين خلوا من قبل، قال تعالى: ﴿قَدْ خَلَتْ مِنْ قَبْلِكُمْ سُنَنٌ فَاسِيرُوا فِي الْأَرْضِ فَانظُرُوا كَيْفَ كَانَ عَاقِبَةُ الْمُكْذِبِينَ﴾ [آل عمران: ١٣٧] (7)

المحور الثاني: تبليغ رسالة الإسلام

من طبيعة الإسلام أنه رسالة (عالمية) في أساسها، قال تعالى: ﴿وَمَا أَرْسَلْنَاكَ إِلَّا رَحْمَةً لِّلْعَالَمِينَ﴾ (١)، وقال النبي: وَكَانَ النَّبِيُّ يُبْعَثُ إِلَى قَوْمِهِ خَاصَّةً، وَيُبْعَثُ إِلَى النَّاسِ عَامَّةً « (٢)، وفي رواية: «وَبُعِثْتُ إِلَى كُلِّ أَحْمَرَ وَأَسْوَدَ (٣). وعالمية الإسلام تقتضي من المسلمين دعوته في ربوع العالم، الآخر بكل أبعاده، والاهتمام بأديان الأرض دراسة وتحليلاً ونقداً. وهو ما لاحظته المفكر البريطاني برنارد شو عندما قال: والإسلام دين كل الأجناس؛ إذ ضم - من ساعته الأولى - الحبشي، والفارسي، والرومي، كما ضم مجموعات من النصراني، واليهودي، والوثنيين، وانصهر الجميع في بوتقة واحدة دُونَ فُرُوقٍ عَلَى الْإِطْلَاقِ، ولم يحس أي منهم أنه غريب عن هذا الدين (4). وهذا - أيضاً - ما سطرته كُتُبُ التاريخ عن المسلمين في المناقشات العلمية التي سجلوها، والحوارات الفكرية التي خاضوها على قاعدة من الاحترام المتبادل، وتحت

رعاية الخلفاء والسلطين، ولم يكن هذا إلا تطبيقاً عملياً للتعليمات القرآنية، واتباعاً رشيداً للأسوة النبوية (5) تحمل المسلمين لأمانة التبليغ لرسالة الإسلام التي تنفرد بين الرسائل بكونها رسالة عالمية، وهذه الأمانة تقتضي معرفة واقع الناس الفكري والعقدي كي يستطيعوا عرض الحقيقة ودفع الشبهة وإقامة الحجة.

أنزل الله محمد -صلى الله عليه وسلم- بشريعة الإسلام، فكان عليه الصلاة والسلام آخر الأنبياء، وشريعته آخر الشرائع، وكونها الدعوة الخاتمة للرسالات السماوية فقد ارتبطت بها طبيعة العموم لجميع الخلق. لقد بين الإسلام كثيراً من الجوانب باعتباره رسالة عامة وشاملة ومضمونا إعلامياً يشمل القوانين الإدارية والسياسية والمعاملات والعلاقات العامة، ويضم بياناً مفصلاً عن طبيعة النفس البشرية وجوانبها العاطفية والمنطقية والغريزية، وقد بين أيضاً الكيفية الناجحة لتحقيق التأثير والاستجابة، وذلك بالاعتماد على مبادئ محددة تتجلى في الآيات التالية (8):

﴿ادْعُ إِلَى سَبِيلِ رَبِّكَ بِالْحُكْمَةِ وَالْمَوْعِظَةِ الْحَسَنَةِ وَجَادِلْهُمْ بِالَّتِي هِيَ أَحْسَنُ إِنَّ رَبَّكَ هُوَ أَعْلَمُ بِمَنْ ضَلَّ عَنْ سَبِيلِهِ وَهُوَ أَعْلَمُ بِالْمُهْتَدِينَ﴾ [النحل: ١٢٥]

﴿وَمَنْ أَحْسَنُ قَوْلًا مِّمَّنْ دَعَا إِلَى اللَّهِ وَعَمِلَ صَالِحًا وَقَالَ إِنَّنِي مِنَ الْمُسْلِمِينَ﴾ [فصلت: ٣٣]

﴿وَلَتَكُنَّ مِنْكُمْ أُمَّةٌ يَدْعُونَ إِلَى الْخَيْرِ وَيَأْمُرُونَ بِالْمَعْرُوفِ وَيَنْهَوْنَ عَنِ الْمُنْكَرِ وَأُولَئِكَ هُمُ الْمُفْلِحُونَ﴾ [آل عمران:

[١٠٤]

وهذا مما يميز دعوة الإسلام فطبيعتها العامة جعلت أمر التبليغ واجب على عاتق كل مسلم الذي بدوره يقتضي معرفة واقع الناس الفكري والعقدي كي يعرضوا الحقيقة ويدفعوا الشبهة ويوصلوا الإسلام إلى جميع البشرية. قال تعالى: ﴿قُلْ هَذِهِ سَبِيلِي أَدْعُو إِلَى اللَّهِ عَلَى بَصِيرَةٍ أَنَا وَمَنِ اتَّبَعَنِي وَسُبْحَانَ اللَّهِ وَمَا أَنَا مِنَ الْمُشْرِكِينَ﴾ [يوسف: ١٠٨]

تعد الدعوة إلى الله من الركائز الأساسية التي بني عليها الدين الإسلامي الحنيف والأديان السابقة وذلك لتبليغ رسالة الله إلى البشرية وانقاذهم من الضلال إلى نور الله ورحمته وضمن نجاتهم في الآخرة من الهلاك المحتم في نار جهنم عافانا الله منها جميعاً، وتميزت الدعوة الإسلامية عن غيرها من دعوات الأنبياء السابقين باستمراريتها وذلك راجع لطبيعة الدين الخاتم لما قبله من رسالات الأنبياء والرسول والمكمل لشرائعهم والمحفوظ من قبل الله من أي تحريف أو زيغ، قال تعالى ﴿إِنَّا نَحْنُ نَزَّلْنَا الذِّكْرَ وَإِنَّا لَهُ لَحَافِظُونَ﴾ [الحجر: ٩]

كما يتحتم على كل من يقوم بمسؤولية الدعوة إلى الله أن يدرس المكان الذي تبليغ فيه الدعوة دراسة شاملة وموضوعية، وأن يعرف مراكز الاضلال، ومواطن الانحراف معرفة دقيقة، وأن يفكر أيضاً في أسلوب العمل الذي يتفق مع عقلية المتلقين واستعداداتهم؛ بأن يتلاءم مع مستوى تفكيرهم ومدى استجابتهم، فتكون دعوته نابعة عن تخطيط ودراسة في سبيل تحقيق الهدف والوصول إلى التأثير والإقناع. (9)

وقد خدم الدعوة الإسلامية عدد كبير من العلماء الربانيين والرجال المخلصين لهذا الدين وكان مبتغاهم من ذلك كله إيصال رسالة الإسلام للعالمين ونقل دين الرحمة والسلام كما جاء به النبي صلى الله عليه وسلم.

قال تعالى: ﴿وَمَا أَرْسَلْنَاكَ إِلَّا كَافَّةً لِّلنَّاسِ بَشِيرًا وَنَذِيرًا وَلَكِنَّ أَكْثَرَ النَّاسِ لَا يَعْلَمُونَ﴾ [سبأ: ٢٨]

فإذا كان من أهم معطيات رسالة الإسلام أنها آخر الرسائل السماوية فإن تأكيد هذا القول وتبريره يستلزم دراسة الأديان الأخرى وبيان ما فيها من مكامن صحة أو ضعف، ومن ثم التعرف على نقاط الاتفاق والاختلاف الذي لا يظهر إلا من خلال دراسة علم الأديان. (10)

والدعاة هم ورثة الأنبياء وعليهم أمانة التبليغ من بعدهم يوحدون الأمة على كلمة الله ومبادئ الحق. (11)، ومن

وسائل دعوة الرسل أنها تلاحظ نوعية المدعوين ومدى تقدمهم وتأتي لهم بالأدلة المناسبة فمثلاً تكون الأدلة بالمحسوسات أحياناً وبالمنعوتات أحياناً أخرى، وبهما معاً أحياناً أخرى، وذلك يحقق لها الوصول إلى أفهام الناس أجمعين والدعوة تستطيع أن تنوع دليلاً وتصنعه في شكل قصة أو مثل وهكذا تبعاً لطبيعة من تخاطبهم خاصة وأنها أحاطت بهم.

يجب على العالم والداعية أن يتفهم طبيعة الناس وغرائزهم وعقائدهم وميولهم فإن عجز عن الإحاطة بسائر الناس فإن عليه أن يحصر فهمه على جماعة يخبرهم ويعلم كل شيء عنهم. (12)

عندما قدم العلاء بن الحضرمي - رضي الله عنه - على المنذر بن ساوى في البحرين كان من نقاشه معه ودعوته له قوله: "إن هذه المجوسية شر دين ليس فيها تكريم العرب، ولا علم أهل الكتاب، ينكحون ما يستحيا من نكاحه، ويأكلون ما يتكرم من أكله، ويعبدون في الدنيا ناراً تأكلهم يوم القيامة". فترى هنا تفصيل العلاء - رضي الله عنه - حال الواقع الذي فيه المجوس ومن يدينون بدينهم وما هم عليه من رذائل قد يكون المنذر غافلاً عنها، إلا أن إثارة الحواس بما هو محسوس يؤدي إلى تفاعل من قبل المدعو لوجود واقع لا يمكن إنكاره، وذلك ما حصل مع المنذر بن ساوى حيث أسلم وأسلم معه قومه. (13)

المحور الثالث: احتكاك المسلمين بالمجتمعات الدينية الأخرى:

عندما زاد انتشار الإسلام، وكثرت الفتوحات الإسلامية، واتسعت رقعة الدولة الإسلامية لتشمل أمماً متعددة ذات ديانات مختلفة، حدث احتكاك ثقافي وعقائدي بين المسلمين الذين وفدوا على البلدان المفتوحة وأصحاب الديانات الأخرى الذين ظلوا متمسكين بدياناتهم حتى بعد فتح بلدانهم.

نتيجة لاتساع رقعة الدولة الإسلامية، ودخول أناس جدد للدين الإسلامي ممن لهم ديانات وأفكار دينية سابقة، فقد أدى ذلك إلى ظهور حركات عقلية مختلفة وأذكر من ذلك عبد الله بن سبأ اليهودي الذي ظهر في عهد الخليفة علي- رضي الله عنه- وقد أحدث بدعة الغلو برفع علي- رضي الله عنه- إلى منزلة الألوهية فجعلوا له جزء منها وقد سموا بالسبائية الغلاة. كما ظهرت القدرية، والمرجئة، والجبرية ولكل منهم معتقدات تخالف العقيدة الإسلامية الصحيحة. فكان لظهور هذه الفرق الإسلامية الدينية، واختلافها فيما بينها أثر لا ينبغي إغفاله في الدراسات العلمية للأديان، سواء من حيث نشأتها في الفكر الإسلامي، أو من حيث ازدهارها. فمن جهة كانت كل فرقة تحاول الرد على أصحاب الديانة المخالفة، وكانت كل فرقة تحاول إرجاع أقوال المخالف إلى أصول أجنبية، مما استدعى إلى معرفة جيدة بالأديان الأخرى. (14)

وكان من مظاهر الاحتكاك الفكري والعقائدي ظهور المناقشات والمناظرات الدينية، فكل فريق كان يريد أن ينسب الحق لجهته، والباطل لمخالفه؛ فكان لزاماً على المفكرين المسلمين التعرف على أفكار ومعتقدات الديانات الأخرى بكل عمق ودقة وشمول، ومن أوائل علماء المسلمين الذين كان لهم جهود في ذلك المعتزلة ثم الأشاعرة، فكان لهم دور فعال في النهوض بالدراسات العلمية للأديان.

وقد كان لوجود الشعوب المتعددة من ديانات أخرى أثر واضح في تشجيع مفكري الإسلام في المحاولة على التعرف على تلك الديانات الذي يعيش أصحابها بجوارهم أو بين ظهرانهم. كما ساعد الازدهار في مجال الكتابة في أدب الرحلات أثره الفعال في التعريف بالأديان التي كانت منتشرة آنذاك، خاصة فيما يتعلق بتقدمها وصف دقيق يتعلق بالجوانب المتعلقة بالعبادات والممارسات الدينية.

كما أن الحديث عن الأديان من خلال أدب الرحلات غير مقصوداً لذاته، من حيث دراسة أصول الأديان

وتطوراتها من الناحيتين التاريخية والموضوعية، بل كان الهدف وصف هذه الأديان ومعتقداتها التعبدية التي يمارسونها بالفعل والتي يمكن ملاحظتها ورصدها. ومن أفضل الكتابات التي يمكن اعتبارها نموذجًا في هذا المجال كتاب "تحقيق ما للهند م مقولة مقبولة في العقل أو مردولة" لأبي الريحان البيروني. (15)

أيضًا كتاب "أحكام أهل الذمة": وهو جواب لكيفية الجزية الموضوعة على أهل الذمة في البلاد الإسلامية، وسبب وضعها، ومقدار ما يؤخذ من الأغنياء ومن المتوسطين ومن الفقراء، وهل يثاب أولياء أمور المسلمين على إلزامهم بها على حسب حالهم أم لا، وهل يؤخذ من الغني والفقير والمتوسط؟، وقد احتوى الكتاب على عدد من الأحكام الفقهية المتعلقة بأهل الذمة، كما أنه لم يهمل الجانب العقدي، فذكر ما يترتب عليهم وعلى أبنائهم من أحكام في الآخرة. (16)

ويظهر من فهرست ابن النديم أن أول بعثة علمي خرجت من جزيرة العرب لدراسة الأديان الأخرى خرجت في أواخر القرن الثاني في عهد يحيى بن خالد البرمكي، وزير الدولة العباسية، فقد بعث رجلاً إلى الهند، وأمره أن يكتب له عن أديانها وأساطيرها. وان الكتاب الذي ألفه هذا الرجل وقدمه إلى يحيى البرمكي وصل إلى ابن النديم بخط يعقوب بن إسحاق الكندي المتوفى سنة 252هـ وفيه أحوال الهند وعادات الهندوس، وعدد آلهتهم، وطريقة عبادتهم، وأوضاع معابدهم وما إلى ذلك. (17)

المحور الرابع: ظهور الحركة العقلية عبر عصور الإسلام المتتالية::

على هدي من الإشارات القرآنية اهتم علماء المسلمين بدراسة الأديان الأخرى كتابية ووضعية، ودراسة مبادئها، وعقائدها، وكتبها، وفرقها، ثم مناقشتها مناقشة عقلية منهجية. (18) ولما جاء عصر التدوين-منتصف القرن الثاني الهجري-(19) وبدأ المسلمون يكتبون الفقه والتفسير، والحديث، وغيرها من العلوم، اتجهوا-كذلك- للتصنيف والتأليف في علم مقارنة الأديان. (20)

وترجع بوادر نشاط المسلمين في هذا الميدان إلى علماء الكلام، الذين أخذوا على عاتقهم مسؤولية الدفاع عن الإسلام، تلك المسؤولية التي فرضت عليهم مواجهة ما حولهم، أو ما يواجههم من الأديان والفلسفات والمذاهب المختلفة. (21)

وقد خلف المسلمون ورائهم روائع استفاد منها الدارسون، واحتفى بها المتخصصون، في الغرب أو في الشرق على حد سواء. ومن أبرز هذه المؤلفات:

- 1- ألف مسألة في الرد على المانوية، لواصل بن عطاء (ت 131هـ).
- 2- الرد على أهل الأديان، للعلاف (ت 235هـ).
- 3- في الرد على النصراني للجاحظ (ت 255هـ).
- 4- الأراء والديانات، للنوبختي (ت 310هـ).
- 5- جمل المقالات للأشعري (ت 324هـ).
- 6- المقالات في أصول الديانات، للمسعودي (ت 346هـ).
- 7- الإعلام بمناقب الإسلام للعامري (ت 381هـ).
- 8- التمهيد للباقلاني (ت 403هـ).
- 9- درك البغية في وصف الأديان والعبادات، للمسبجي (ت 420هـ). (22)

وغير هذه المؤلفات كثير يضيق المقام بحصرها، ويلاحظ القارئ لمؤلفات المسلمين عن الأديان في هذه الفترة

الآتي:

دوافع دراسة الأديان عند العلماء المسلمين

1. أن علماء (المعتزلة) كانوا أول من خاض هذا الحقل العلمي، وأبلى فيه بلاء حسنًا ثم تابعهم في ذلك بعض الفلاسفة.
2. لم تكن دراسة الملل والنحل مقصورة على المتكلمين والفلاسفة، بل شاركهم هذا الاهتمام المؤرخون أمثال: (المسعودي)، و(البيروني)، و(اليقوبي)، و(المقريزي)، وقد تضمنت كتبهم معلومات مفيدة عن بعض الأديان وتطورها. (23)

ويتضح أن مفكري الإسلام في علم الكلام تناولوا الحديث عن الأديان من خلال قسمين أساسيين: القسم الأول: يتعلق بدراسة الأديان بهدف بيان تهاافت الأديان المخالفة للإسلام والرد على أصحابها. وهذا يمثل معظم نشاط المتكلمين سواء كانوا من المعتزلة أو الأشاعرة ومن أمثلة ذلك ما أفرده القاضي عبد الجبار من موسوعته الكلامية "المغني في أبواب العدل والتوحيد" للحديث عن الفرق غير الإسلامية، أيضًا كتاب "التمهيد في الرد على الملحدة والمعطلة والرافضة والخوارج والمعتزلة" لأبو بكر الباقلاني الذي رد في كتابه على بعض الديانات وغيرها من كتب المتكلمين.

القسم الثاني: تنحصر دراسة الأديان فيه لذاتها، دراسة موضوعية (24)، ومن أوائل من ألف في هذا القسم أبي عيسى الوراق في كتابه "المقالات" وإن كان كتابه يعتبر مفقودًا إلا أنه ظهر لنا من خلال اقتباس العلماء الذين كتبوا من بعده مثل كتاب النوبختي "الآراء والديانات" والشهرستاني في كتابه "الملل والنحل"، لذا يعتبر الوراق أول مفكري الإسلام الذين تكلموا في مجال مقارنة الأديان، باعتبار كتابه "المقالات" هو أول الكتب العربية في هذا المجال. (25) كما يعتبر علم مقارنة الأديان من أبرز المعامل المنهجية التي استخدمها ابن القيم رحمه الله لدراسة الأديان الأخرى والملل والمذاهب في أصول العقيدة وغيرها؛ لإثبات أوجه الاتفاق والاختلاف بينها، ومن نماذج ذلك:

- مقارنة ابن القيم بين أقوال عيسى عليه السلام، وأقوال الرسول صلى الله عليه وسلم- في "توافق دعوتهم وتطابقها حذو القذة بالقذة وأنه لا يمكن التصديق بأحدهما مع التكذيب بالآخر البتة (26)؛ لأن الأول بشر بالثاني، وأن الثاني صدق الأول. (27)

- المقارنة بين عقيدة المسلمين وعقيدة اليهود والنصارى في المسيح عليه السلام. وغيرها من المقارنات التي كان الهدف منها إبراز العقيدة الصحيحة، والدين القويم، الذي ارتضاه الله للعالمين، ألا وهو دين الإسلام، وإبراز ما يتميز به التوحيد والشريعة عن غيلاه من الأديان والملل والنحل الأخرى التي تشتمل على الكفر والضلال والباطل والمحال، (28) كما ان الهدف منها أيضًا معرفة مواطن الاتفاق بين رسالات الرسل ودعوتهم وأديانهم؛ لأنهم كلهم بعثوا بملة واحدة وبدعوة واحدة فلا تتعارض ولا تتناقض، وغنما يكمل بعضها بعضا، وهذا كله لا يظهر للناظر إلا بالمقارنة، فإذا قارنت بينها جميعها تبين لك الحق، (29)

إن من مفاخر المسلمين أنهم هم الذين أنشأوا علم مقارنة الأديان، أو بمعنى آخر وضعوا أسسه، وقد اعترف مفكرو الغرب في القديم والحديث بذلك (30)، فهذا العلم لم يظهر قبل الإسلام؛ لأن الأديان قبله لم يعترف أي منها بالأديان الأخرى، وكان كل دين يعد ما سواه من الأديان والأفكار هرطقة وضلال. (31)

المحور الخامس: التصدي للشبهات والرد عليها:

لا يخفى على المسلم ما للشبهات من خطر عظيم على عقيدة المسلم، فقد بين النبي صلى الله عليه وسلم أن

القلب هو مدار الصلاح والفساد، فعن النعمان بن بشير رضي الله عنه قال: قال رسول الله صلى الله عليه وسلم: (ألا وإن في الجسد مضغة إذا صلحت الجسد كله، وإذا فسدت فسد الجسد كله، ألا وهي القلب) (32) فإذا اعتري القلب فسادٌ بظهور الشبهات فسدت على إثرها حركات الجوارح كلها، وانبعثت إلى كل المعاصي والمشتبهات بحسب اتباع هوى القلب. (33)

فالشبهة إذا وقعت في القلب أخلت بعقيدة المرء وبمبادئه وأصوله فهو يعتقد الحق في غير موضعه، فيجعل الحق باطلاً، والباطل حقاً، لذا يكون الرجوع فيها إلى طريق الحق أصعب لاعتقاده بصحة شبهته. (34)

لذا كان لعلماء الإسلام رغبة في التصدي لشبهات أصحاب الأديان الأخرى حول الإسلام، إما ما يتعلق منها بجانب العقيدة، أو الشريعة، أو الحضارة. كما فعل أبو الحسن الأشعري في رده على المعتزلة والشيعة في كتابه "مقالات الإسلاميين" فبدافع الذب عن الدين أو الحضارة الذي يستلزم دراسة الأديان الأخرى ومحاورة أتباعها. (35)

وقد يكون التصدي للشبهات ليس فقط من خلال تأليف الكتب بل أيضاً بالمحاورة مع المخالف، ومثال ذلك ما فعل أبي عبيدة الخزرجي من تأليف كتابه "مقامع الصلبان" إثر مناظرته مع أحد القساوسة الإسبان. فكانت أحداث هذه المناظرة في الأندلس في نهاية القرن السادس الهجري، فظهرت في تلك الفترة معارك فكرية عقديّة حول الإسلام والمسيحية، فكان المسلمون الذين بقوا تحت الحكم المسيحي يتعرضون لهجوم يستهدف تعاليم الإسلام، إذ كان أحد القسيسين الإسبان يلقي أسئلة على بعض المسلمين بهدف زعزعة عقيدتهم، فوجد المسلمون أن أبي عبيدة هو أفضل من يرد عليه، فعندما علم القسيس بذلك أرسل بكتاب إليه يدعو إلى دين المسيحية فرد عليه أبو عبيدة بكتاب "مقامع الصلبان". (36)

الخاتمة

1. يعتبر القرآن الكريم هو الدافع الأكبر لعلماء الإسلام في دراسة علم الأديان، بكل ما يحتويه من محفزات ودوافع مرغبة في دراسة هذا العلم.
2. قضت طبيعة الرسالة المحمدية العالمية أن يكون تبليغ أمانة هذا الدين واجب على كل مسلم وبالأخص من امتلك العلم من مفكري الإسلام، ولن تتحقق هذه الأمانة مالم يُدرس واقع الناس الفكري والعقدي فتعرض عليهم الدين على حقيقته ويبين لهم زيغ وضلال ما هم عليه.
3. من الدوافع المساعدة في اهتمام المسلمين بدراسة الأديان هو احتكاكهم بغيرهم من الأديان والطوائف عند اتساع رقعة الدولة الإسلامية.
4. ساعد ظهور الحركات العقديّة الجديدة علماء المسلمين على الاهتمام بهذا العلم وبيان هذه الحركات من خلال دراستها ونقضها.
5. كان التصدي للشبهات والسعي في الرد عليها من الدوافع التي ساعدت مفكري الإسلام؛ لما لهذه الشبهات من تأثير على العقائد ومن ثم على العبادات فتغيرها من السلامة إلى الضلال.
6. ساهم علماء الإسلام إسهامات قيمة في علم مقارنة الأديان، تميزوا بها عن سبقهم، وسبقوا بها من جاء بعدهم في هذا المجال.
7. أن الحضارة الإسلامية لها الفضل في ظهور علم مقارنة الأديان وتطوره، وأن علماء الإسلام سبقوا علماء الغرب في كثير من مواضع هذا العلم وقواعده وأصوله.

دوافع دراسة الأديان عند العلماء المسلمين

فهرس المصادر والمراجع

1. إسهامات ابن القيم في علم مقارنة الأديان دراسة تحليلية، أحمد علي الزاملي عسيري، (مجلة التراث، مج 11، العدد 03، ص 105-127، جويلية 2021م)
2. إسهامات علماء المسلمين في مجال علم الأديان، نور محمد محمود سيد أحمد طه، (أبحاث المؤتمر الدولي الأول: قراءة التراث العربي والإسلامي بين الماضي والحاضر، مركز تحقيق المخطوطات وجامعة قناة السويس- مركز تحقيق المخطوطات وكلية الآداب والعلوم الإنسانية، مج 3، 2017م، ص 585-596) مسترجع من <http://search.mandumah.com/Record/9>
3. الأساليب الاتصالية والإعلامية للرسول- صلى الله عليه وسلم- في تبليغ الدعوة الإسلامية، رضوان بلخيري، لدمية عابدي، (مجلة المعيار، مج 21، العدد 42، ص 465-499، 2016م).
4. الدعوة الإسلامية: أصولها ووسائلها، أحمد أحمد غلوش، (دار الكتاب المصري، القاهرة، ط 2، 1407هـ- 1987م)
5. الصحاح تاج اللغة وصحاح العربية، الجوهري، (دار الحديث، القاهرة، ط 1430هـ- 2009م).
6. الصواعق المرسله في الرد على الجهمية والمعطله، ابن القيم، تحقيق: علي محمد الدخيل الله، (درا العاصمة، الرياض، ط 1408، 1هـ)
7. التأصيل لدراسة كشف الشبهات في ضوء السنة وأثار السلف، محمد بن بخيت الحجيلي، (مجلة لبحوث الإسلامية، مج 7، العدد 68، ص 75-130) مسترجع من <http://search.mandumah.com/Record/1>
8. التحرير والتنوير، محمد الطاهر بن عاشور، (تونس، دار سحنون للنشر والتوزيع، 1997م، ج 1،)
9. الجامع المسند الصحيح المختصر من أمور رسول الله وسننه وأيامه: صحيح البخاري لمحمد بن إسماعيل أبو عبد الله البخاري الجعفي، بتحقيق محمد زهير بن ناصر الناصر، طبعة دار طوق النجاة (مصورة عن السلطانية بإضافة ترقيم محمد فؤاد عبد الباقي)، الطبعة: الأولى، 1422هـ.
10. المادة المعرفية والمنهجية لدراسة الأديان في القرآن الكريم، بدران بن لحسن، (مجلة الحضارة الإسلامية، مج 21، العدد 1، جوان 2020)
11. بحوث ممهدة لتاريخ دراسة الأديان، محمد عبد الله دراز، (دار القلم، الكويت، 1410هـ- 1990م).
12. اليهودية، أحمد شلبي، سلسلة (مقارنة الأديان) (مكتبة النهضة المصرية القاهرة، ط 8، العدد 1، 1988م)
13. تاريخ الإسلام ووفيات المشاهير والأعلام، محمد بن أحمد الذهبي، تحقيق: بشار عواد معروف، (دار الغرب الإسلامي، ط 1، 2003م)
14. دراسة الأديان في المنظور القرآني: منطلقات ومفاهيم أولية، عبد الرزاق عبد الله حاش، (مجلة الإسلام في آسيا، مج 8، عدد خاص، 2011م، ص 1-19) مسترجع من <http://search.mandumah.com/Record/4>
15. دراسات في اليهودية والمسيحية وأديان الهند، محمد ضياء الرحمن الأعظمي، (مكتبة الرشد، الرياض، المملكة العربية السعودية، 1424هـ- 2003م، ط 2).
16. دراسات في الملل والنحل (أصول المسيحية الهلينية)، محمد عبد الله الشرقاوي (ط 1، 1414هـ- 1993م)

دوافع دراسة الأديان عند العلماء المسلمين

17. دور العلماء المسلمين في تأسيس علم مقارنة الأديان، عبد الكريم فايزي، (مجلة قبس للدراسات الإنسانية والاجتماعية، مج 1، عدد 2، ديسمبر 2017، ص 133-152).
18. علم مقارنة الإسلام عند مفكري الإسلام، إبراهيم تركي، (دار الوفاء، الإسكندرية، ط 1، 1423هـ-2002م).
19. علم مقارنة الأديان بين التأصيل ومعوقات التجديد، صلاح محمود الباجوري، (مجلة كلية الدراسات الإسلامية، العدد 36، 1440هـ-2019م).
20. كتاب الرسول القائد، محمود شيت خطاب، (دار الفكر، بيروت، ط 6، 1422هـ).
21. في علم النقد المقارن مقالات في المنهج، دين محمد ميرا، (دار البصائر، القاهرة، 1430هـ-2009م، ط 1).
22. مقارنة الأديان بين التنظير والتطبيق عند القاضي عبد الجبار المعتزلي دراسة تحليلية، حمدي عبد الله الشرقاوي، (دار الكتب العلمية، بيروت).
23. منهج الصحابة في دعوة المشركين من غير أهل الكتاب، عبد العزيز محمد سعود الكبير، (دار الرسالة العالمية، بيروت، ط 1، 1442هـ-2021م).
24. منهج ابن القيم في دراسة عقائد النصارى، مجدي أبو عميرة، (مجلة الحكمة، العدد 20، 2000م) ص 314-317، موقف ابن القيم الجوزية من العقيدة النصرانية، (الجامعة الإسلامية العليا، ماليزيا، 2006م).
25. هداية الحيارى في أجوبة اليهود والنصارى، ابن القيم، تحقيق: عثمان جمعة ضميرية، (دار عطاءات العلم، الرياض، ط 4، 1440هـ-2019م).

-
- ³ في علم الدين المقارن: مقالات في المنهج، دين محمد ميرا، (القاهرة، دار البصائر، ط 1، 1430هـ-2009م) ص 197.
 - ⁴ دراسة الأدبان في المنظور القرآني: منطلقات ومفاهيم أولية، عبد الرزاق عبد الله حاش، (مجلة الإسلام في آسيا، مج 8، عدد خاص، 2011م، ص 1-19) ص 6.
 - ⁵ دراسة الأدبان في المنظور القرآني: مرجع سابق، ص 7.
 - ⁶ دراسة الأدبان في المنظور القرآني: عبد الرزاق عبد الله حاش ص 8.
 - ⁷ إسهامات علماء المسلمين في مجال علم الأديان، نور، محمد محمود سيد أحمد طه، ص 587 بتصرف.
 - ⁸ الأساليب الاتصالية والإعلامية للرسول - صلى الله عليه وسلم - في تبليغ الدعوة الإسلامية، رضوان بلخيري، لدمية عابدي، (مجلة المعيار، مج 21، العدد 42، ص 465-499، 2016م) ص 471.
 - ⁹ الدعوة الإسلامية: أصولها ووسائلها، أحمد أحمد غلوش، (دار الكتب المصري، القاهرة، ط 2، 1407هـ-1987م) ص 424 بتصرف.
 - ¹⁰ علم مقارنة الإسلام عند مفكري الإسلام، إبراهيم تركي، (دار الوفاء، الإسكندرية، ط 1، 1423هـ-2002م) ص 35.
 - ¹¹ الدعوة الإسلامية: أصولها ووسائلها، أحمد أحمد غلوش، (دار الكتب المصري، القاهرة، ط 2، 1407هـ-1987م) ص 295.

- 12 المرجع السابق، ص 431.
- 13 منصح الصحابة في دعوة المشركين من غير أهل الكتاب، عبد العزيز محمد سعود الكبير، (دار الرسالة العالمية، بيروت، ط 1، 1442هـ-2021م) ص 356.
- 14 علم مقارنة الإسلام عند مفكري الإسلام، إبراهيم تركي، ص 37.
- 15 المرجع السابق، ص 39.
- 16 إسهامات ابن القيم في علم مقارنة الأديان دراسة تحليلية، أحمد علي الزاوي عميري، (مجلة التراث، مج 11، العدد 03، ص 105-127، جويلية 2021م) ص 111.
- 17 دراسات في اليهودية والمسيحية وأديان الهند، محمد ضياء الرحمن الأعظمي، (مكتبة الرشد، الرياض، المملكة العربية السعودية، 1424هـ-2003م، ط 2) ص 28.
- 18 دراسات في الملل والنحل (أصول المسيحية الهلينية)، محمد عبد الله الشراقي (ط 1، 1414هـ-1993م) ص 7.
- 19 تاريخ الإسلام ووفيات المشاهير والأعلام، محمد بن أحمد الذهبي، تحقيق: بشار عواد معروف، (دار الغرب الإسلامي، ط 1، 2003م) ج 3، ص 776.
- 20 لليهودية، أحمد شلبي، سلسلة (مقارنة الأديان) (مكتبة النهضة المصرية القاهرة، ط 8، العدد 1، 1988م) ص 27.
- 21 في علم الدين المقارن (مقالات المنهج)، دين محمد مير، (دار البصائر، القاهرة، ط 1، 1430هـ-2009م) ص 36.
- 22 علم مقارنة الأديان بين التصحيح وموعات التجديد، صلاح محمود الباجوري، (مجلة كلية الدراسات الإسلامية، العدد 36، 1440هـ-2019م) ص 569-570-571.
- 23 دراسات في الملل والنحل، محمد عبد الله الشراقي، ص 8.
- 24 علم مقارنة الإسلام عند مفكري الإسلام، إبراهيم تركي، ص 41، 42.
- 25 المرجع السابق، ص 64، 68.
- 26 هداية الحيارى في أجوبة اليهود والنصارى، ابن القيم، تحقيق: عثمان جمعة ضميرية، (دار عطاءات العلم، الرياض، ط 4، 1440هـ-2019م)، ج 1، ص 151.
- 27 المرجع سابق، ص 146.
- 28 الصواعق المرسلات في الرد على الجهمية والمعتلة، ابن القيم، تحقيق: علي محمد الدخيل الله، (دار العاصمة، الرياض، ط 1، 1408هـ) ص 327.
- 29 منصح ابن القيم في دراسة عقائد النصارى، مجدي أبو عميرة، (مجلة الحكمة، العدد 20، 2000م) ص 314-317، موقف ابن القيم الجوزية من العقيدة النصرانية، (الجامعة الإسلامية العليا، ماليزيا، 2006م) ص 56-57.
- 30 مقارنة الأديان بين التنظير والتطبيق عند القاضي عبد الجبار المعتزلي دراسة تحليلية، حمدي عبد الله الشراقي، (دار الكتب العلمية، بيروت) ص 96.
- 31 إسهامات ابن القيم في علم مقارنة الأديان دراسة تحليلية، أحمد الزاوي عميري، ص 118.
- 32 أخرجه البخاري كتاب الإيمان باب فضل من استبرأ لدينه: (52) ومسلم كتاب المساقاة: (1599) من طريق زكريا بن أبي زائدة عن الشعبي عن النعمان به.
- 33 التنصّل لدراسة كشف الشبهات في ضوء السنة وآثار السلف، محمد بن يحيى اللخمي، (مجلة لبحوث الإسلامية، مج 7، العدد 68، ص 75-130) مسترجع من <http://search.mandumah.com/Record/1>، ص 79.
- 34 التنصّل لدراسة كشف الشبهات في ضوء السنة وآثار السلف، مرجع سابق، ص 81.
- 35 إسهامات علماء المسلمين في مجال علم الأديان، نور محمد محمود سيد أحمد طه، (أبحاث المؤتمر الدولي الأول: قراءة التراث العربي والإسلامي بين الماضي والحاضر، مركز تحقيق المخطوطات وجامعة قناة السويس - مركز تحقيق المخطوطات وكلية الآداب والعلوم الإنسانية، مج 3، 2017م، ص 596-585) مسترجع من <http://search.mandumah.com/Record/9>، ص 588.
- 36 دور العلماء المسلمين في تأسيس علم مقارنة الأديان، عبد الكريم فايزي، (مجلة قيس للدراسات الإنسانية والاجتماعية، مج 1، عدد 2، ديسمبر 2017، ص 133-152) ص 144-145.